جامعة قسنطينة1– الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية
أ.د. دياب قديد
البريد الالكتروني lkaddid@yahoo.fr

البحث العلمي في أقسام اللغة العربية في الجزائر واقع وآفاق
بحث في الآليات والوسائل والأهداف

الملخص:

إن هذه الورقة البحثية هي مقاربة للكشف عن واقع البحث العلمي في أقسام اللغة العربية في الجزائر، من حيث تحديث الآليات والوسائل التي تعمل على تجسيد ميكانيزمات التخطيط والتجسيد من أجل الخروج من نفق التبعية إلى الغرب، والإنطلاقة المغلية في مسارات البحث العلمي، ذلك أن البحث العلمي نشاط ذهني ومعرفي وبحثي يعمل على تحقيق النجاعة، وتوفير سُبل النجاح في الحياة والوجود، ويضمن الاستمرار والتقدم للأمم، فلا سبيل إلى الحياة ما لم تكن هناك خطة مدروسة تستند على البحث العلمي الجاد والمثير والمفيد والمبني على استراتيجية محكمة قوامها حسن التخطيط، ورسم سياسة بحثية مبنية على قواعد علمية دقيقة، من حيث الرؤى والأهداف، والتحكم الجيد في البرمجة، وإدارة التجسيد.

بناء على هذا التصور الابستيمي تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن الواقع البحثي في الجزائر من خلال توصيف حالة البحث في أقسام اللغة العربية من منطلق أن اللغة العربية بمقدروها مجاراة التطور العلمي، ولكن هذا متوقف على مدى فاعلية التخطيط السياسي في العمل على الوقوف عند الإشكالات التي شكّلت سدًا منيعا في إحداث نقلة نوعية.

في مجال التقدم، وهذا من خلال الترجمة، وجعل اللغة العربية فيها من المرونة، من حيث تعريب المصطلحات، وتحديث الأساليب اللغوية التي تكون في مستوى التحديات والرهانات لتحقيق الأهداف المرجوة، ولعلّ هذا ما تحاول هذه الورقة البحث الكشف عنه.

المحاضرة:

دأبت الأمم والمؤسسات العلمية على رسم معالم التفوق والتطور من خلال الاعتناء بالمنظومة العلمية والبحثية، التي تشكّل الإطار الحقيقي لمراحل التحدي والاكتشاف، وهذا لا يعني أن تتوقف عجلة البحث بمجرد الوصول إلى الأهداف المرسومة، بل على العكس فهذا يكون دافعا قويا لمزيد من الدراسات العلمية، انطلاقا من فكرة جوهرية أن البحث عمل متواصل لا حدٌّ، وهذا لن يتأتى إلا بفضل تظافر جهود الجميع، والعمل على مستوى الأفراد والجماعات.

إن صناعة التاريخ تكون فقط لذوي التميز والتفرد، وهذا لا يتحقق إلا بالعمل والمثابرة في حقل المعرفة والبحث، وهو عالم، الضعيف فيه متروك مَنْسيٌ، لا يكترث أحد لوجوده، أما البقاء فهو لذوي استراتيجية بحثية جيدة ودقيقة، تتبع مجموعة من الآليات الإجرائية الكفيلة بتحقيق ذلك.

إن الرهان الحقيقي في عالمنا الآن قائم على توفير أسباب التفوق العلمي من خلال بناء رؤية مشروع دقيق وواضح في مجال البحث العلمي.

إن الراهن الجزائري عامة لا يعكس الصورة الحقيقية للبحث العلمي، ولا يبحث على الارتياح، وعليه يجب تجاوز هذا الواقع، والنهوض بالبحث العلمي، ومن أجل تحقيق ذلك لا بُدّ من توحيد الرؤى والأهداف، وجمع الوسائل والأدوات سعيا إلى الوصول إلى ضمان ثقافة بحثية جيدة، وتعزيزها في كيان الأفراد والجماعات.

بناء على هذا الطرح الابستيمولوجي جاءت هذه الورقة البحثية للوقوف عند أسباب الضعف في حقل البحث العلمي، ومن ثم تحديد أولويات البحث ومصادره والأهداف التي من شأنها تحقيق النقلة الفرعية في مجال البحث، وهذا لا يكون إلا بالعمل الجماعي والفردي للأسرة الجامعية، وأن تكون على قدم وساق من أجل البناء والتفوق والتفرد، وأنا على يقين من أن الكفاءات العلمية، والنوايا الحسنة متوفرة عند الأفراد والجماعات، ولكن ما ينقصها وضع العربة على السكة فقط.

انطلاقا من هذا فإن "رسالة الجامعات في العصر الحاضر تقوم بدور بالغ الأهمية في حياة الأمم والشعوب على اختلاف مراحل تطورها الإقتصادي والاجتماعي، ومن هذا المنطلق فإن رسالة الجامعة تكمن في ثلاث وظائف رئيسة تتلخص في قيام الجامعة في المشاركة في تقدم العلوم والمعارف المختلفة إضافة إلى إعداد القوى البشرية ذات المهارات الفنية والإدراية من مستوى العالم، ووتلخص الوظيفة الثانية بدور أساسي في البحث

العلمي في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية أما الوظيفة الثالثة لرسالة الجامعة فإنها تكمن في خدمة المجتمع عن طريق دورها الثقيفي والإرشادي والمشاركة في تقديم الخدمات الاجتماعية والنوعية العامة، وتدعيم الإتجاهات الاجتماعية والقيم الإنسانية المرغوبة"[1].

البحث العلمي نشاط علمي ومعرفي وبحثي يعمل على تحقيق النجاعة، وتوفير سُبل النجاح في الحياة والوجود، ويضمن الاستمرارية، فلا سبيل إلى الحياة ما لم تكن مرفوقة بالبحث العلمي الجاد والمثمر والمفيد، لأنّ القاعدة الأساسية في الوجود هي التطور والنماء على جميع الأنشطة المختلفة لمصادر المعرفة.

انطلاقا من هذه النظرة العلمية كان لزاما أن تُعنى الشعوب والأمم على اختلاف مشاربها، وتعدد ثقافاتها، وتباين معتقداتها بالبحث العلمي، لأنّه ليس الطبيعي، ولا من البديهي وصول الأمم إلى ذروة الاكتشاف والتطور وهي غارقة في بحر الظلمات والجهل، تتخبط في مجاهيل كثيرة من الصعب الخروج منها.

إن الوعي الفعال والإيجابي يمكن بالأساس في حاجة الأمة إلى وجود باحثين يكون بمقدورهم رفع التحدّي، وبناء منظومة متماسكة ومتجانسة من البحث العلمي من أجل الخروج من دائرة الاتباعية، وهيمنة الآخر.

على هذا الأساس جاءت هذه الورقة البحثية بفكرة البحث العلمي واقع وآفاق في كلية الآداب واللغات بالجزائر، لتسلط الضوء على هذا الحقل المعرفي حرصا مني على تشخيص الداء، ومن ثم تقديم الوسائل العلاجية الضرورية التي تسهم في تحقيق شروط البحث العلمي.

لو ألقينا نظرة سريعة على واقع البحث العلمي بأقسام اللغة العربية لوجدنا أن هناك معاناة حقيقية للبحث العلمي، حيث إنّه يفتقد إلى أبسط قواعد البحث العلمي الذي يؤسس أبجديات البحث، ويحفظ استمراريته، ويدعم حضوره.

إن الواقع شيء مخالف للبحث، ومفارق له، بل يدعو إلى مراجعة أدبيات البحث العلمي الذي تقوم عليه الجامعة، وتعمل جاهدة على تطور البحث العلمي من خلال وضع استراتيجية دقيقة بتجميع بين الآليات والوسائل والباحث، وتوفير الأرضية المناسبة للبحث.

---

[1] _محمد صادق، البحث العلمي بين المشرق العربي والعالم الغربي كيف نهضوا ولماذا تراجعنا، ط1، 2014، المجموعة العربية للتدريب، مصر، ص 37.

إن مسحا كرونولوجيا لواقع البحث العلمي في الجامعة يلحظ أنه في حالة كارثية من حيث الأداء والفهم والحضور، وقد لا يكون من المبالغة إن ذهبت بتوصيف البحث العلمي في وضعية فتور وضعف، في الوقت الذي خطت كثير من الأمم خطوات جبارة في ميدان البحث، وكُنّا نعتقد أن المؤسسات البحثية في الجامعة الجزائرية تتوفر على العناصر المكوّنة للبحث العلمي، وبإمكانها تقديم مزيد من الدعم الفعلي للحركة العلمية والبحثية في الجامعة نظرا لوجود المادة الخام والمتمثلة في هذه الكفاءات العلمية للباحثين من حيث العدد والتكوين حقيقية، مقارنة بسنوات تأسيس الجامعة الجزائرية، ولكن شيئا من هذا لم يتحقق في غياب الفعالية في الوسط البحثي، وظلت الشعارات التي تحملها في كثير من الأحيان ليست مستمدة من الواقع، وبعيدة كل البعد عن الطموحات والآمال التي كانت الجامعة الجزائرية تتطلع إليها.

وإذا ما أردنا مساءلة الذات، والوقوف عند الأسباب الحقيقية في الوصول إلى هذه الوضعية، وتحديد إشكالية البحث تستوقفني مجموعة من الأسئلة المركزية والتي تشير إلى هذه الظاهرة من حيث العوائق، والوسائل لتحقيق البحث العلمي، ولعل أبرزها مايلي: هل يكمن العجز في الباحث أم في الوسط الحاضن للبحث العلمي؟، أو هل العجز مردُ إلى غياب استراتيجية واضحة للبحث العلمي؟ وهل لغياب أو نقص الأدوات والوسائل البحثية دور في تغييب البحث العلمي؟ أم أنّ هناك غياب لاستراتيجية مدرسة في البحث العلمي؟ أم أن هناك أسبابا أخرى غيبية لا يمكن معرفتها أو رؤيتها أو تحديدها لها إسهامات فعلية على حقل البحث العلمي؟ لكل هذه الأسئلة وغيرها تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عنها للكشف عن حقيقته الظاهرة في تفاعلها مع جميع هذه العناصر.

إن رسم معالم البحث العلمي وتحديد ماهيته يشكّل رؤية فعلية للبحث العلمي بعيدا عن الخطابات السياسيوية الوهمية، أو الأرقام السحرية المقدمة من الجهات الوصيّة، ونختبئ وراءها ونحتمي بها إرضاء لذواتنا حتى ولو كانت مخالفة للحقيقة في أحيان كثيرة.

لقد حان الوقت لرفع التحدي من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي أو بعض منها على الأقل، لأنّ التاريخ يسجّل كل شيء، ولا يرحم أحدا، ولا يغفر ذنب مُذنب في حق العلم والمعرفة، ولكيّ لا تنطبق مقولة المرأة الأندلسية علينا «لا تبك يا بني كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال».

ليس من الحكمة جلد النفس، وتوجيه اللوم إلى هيئة بعينها بقدر ما نتعالى على كل هذا وذاك تحقيقا

لغايات أسمى، وهي دفع عجلة حركة البحث العلمي بعيدا عن توجيه أصبع الاتهام إلى الأشخاص أو المؤسسات، فنحن جميعا جزء من هذه المنظومة، نتحمل مسؤولية النجاح، كما نتحمل مسؤولية الإخفاق، وليس من العيب على الإطلاق أن نعترف بأخطائنا، بل العيب أن نكابر في الخطأ وندافع دفاعا مستميتا على انحرافاتنا المعرفية، مع العلم أننا في داخلنا تكمن الحقيقية التي تقوم على أننا على خطأ، وإننا في طريق مسدود، يجب مراجعة أفكارنا، وفقه الذات بشكل موضوعي وفي حدود منطقية قصد الوصول إلى ماهية الأشياء بعيدا عن رفع شعارات ولافتات لا نجني من ورائها سوى أن نظل في هذا المستوى البحثي الذي لا يُبشر بشيء، ولا يحمل معالم التجديد والابداع والتقدم، بل كل ما في الأمر هو أننا بحاجة ماسة إلى انطلاقة بحثية جادة ومستمرة تكفلُ لنا الخروج من هذه العوالم المظلمة من جهة، ونحقق لذاتنا التطور العلمي، لأنّه لا يمكن أن نصل إلى هذه الحالة، ما دمنا نغيّب البحث العلمي، ولا نعطيه أولى أولوياتنا في الحياة، إذْ تتفق جميع المراكز البحثية في العالم أن ميزانية البحث العلمي في زيادة، وأنها خط أحمر لا يمكن المساس به، ولعلّ هذا ما دفع بهذه المراكز إلى تقديم أعمال علمية كبيرة جدا، الشيء الذي يتيح للباحث القيام بواجبات وهو في كامل الراحة النفسية، وقد نتج عن ذلك تطور علمي، شكّل نقطة تميز لهذه الأمم والشعوب.

أمّا الواقع البحثي في الجامعة الجزائرية فهو بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في طرائق تسييره، من حيث الوسائل والأهداف والمخططات، ذلك لأنّه يعاني من نقص في الوسائل، وبطء في العمل، إلى جانب غياب استراتيجية بحثية، ولعلّ القضية الجوهرية تكمن في الباحث، إذْ ليس هناك تحفيزات مادية من شأنها الدفع به إلى مزيد من المثابرة، وبذل الجهد، ولهذا تجد عزوفا يكاد يكون مطلقا من ناحية الباحث، لأنّه ليس هناك ما يجعله مندمجا بالبحث في هذه الظروف الصعبة التي يعانيها.

إنّ البحث العلمي قوامه نظام إداري وجهاز مفاهيمي يعمل على تشكيل المنظومة البحثية وحمايتها، ورعايتها بطريقة صحيحة بعيدا عن الترقيعات التي ما لبثت تقلّل من غوص البحث العلمي، إن البحث العلمي ذو خاصية حركية وفعالة ويتمتع بالديمومة، ليس له حدود للتوقف، وهو دائم الإنتاج، وعليه تعلّق الدول المتقدمة أهمية قصوى على روح البحث العلمي ومقاصده، وأهدافه إلى تحديث المجتمع، وتطوره، وجعله من أكثر الشعوب إحساسًا بالأمن والأمان، لأنّ البحث العلمي قادر على توفير هذه الخصوصيات للفرد والمجتمع شريطة فقط المساهمة الفعالة في البيئة الخاصة للبحث العلمي.

إنّ التصور الصحيح لحدود البحث العلمي، وأهدافه من شأنه تقديم إضافات نوعية ذات جودة عالية

تشكّل إطارا معرفيا حقيقيا للباحث، وتدفعه لمزيد من الحرص الشديد على خدمة البحث العلمي، والتعلق الصحيح بقواعده والعمل بوسائل من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة.

انطلاقا من هذا التصور فإنّه لا مناص من توفير جميع الشروط الكفيلة بالبحث العلمي، وليس هناك عنصر يَقِلُ قيمة عن الشروط الأخرى، من حيث الوظائف والأداء، وليس من المستحيل أن تجتمع الشروط الموضوعية لتقديم رؤية دقيقة لمشروع البحث العلمي، ذلك إنّ صُدقتْ النوايا، وخَلُصتْ، وكانت الإدارة السياسية والإدارية متحققة فإنّ النجاح حتمية تاريخية ولعلّ من أبرز الشروط البحثية للقيام بمنظومة علمية بحثية صحيحة مايلي:

1-الباحث حقيقته وصورته وكفاءات ونواياه الصادقة في المضي قُدمًا بالبحث العلمي، إن قراءة نقدية في الجامعة عامة، وفي كلية الآداب واللغات، ولا سيما أقسام اللغة العربية تكشف عن أن هناك مؤهلات علمية، وكفاءات بحثية لا تقلُ قيمة عما هو موجود في الغرب، ولكن هذه الإطارات العلمية مُغيّبة تارة، وتعاني من التهميش طورا آخر، وربما في بعض الحالات لم تُوظف توظيف صحيحا في البحث العلمي، وهو ما يجعلها تعاني الأمرين جراء الإحساس بعدم جدواه أو فاعليتها، ومن ثم قد ينقلب الأمر إلى معاداة البحث العلمي، لا سيما إذا اتجه الباحث اتجاها عكسيا باختلاف وضعيات، وافتعال آليات من شأنها العمل على تعطيل آليات البحث العلمي، ولكن للقضاء على مثل هذه الحالات لا بد من حسن توجيه الباحث العلمي وموافقته من الناحية الإدارية والقانونية بوضع ترسانة من التشريعات القانونية لحماية الباحث، وجعله في الاتجاه الصحيح.

إن الشعور الباحث في الجامعة بالإحباط جراء عدم الالتفات إليه، أو تدعيمه ماديا من شأنه خلق حالة من العقم المعرفي عنده، لأنّ الوضع المادي الجيّد للباحث فعل صحيح لتحرير الباحث من كل القيود التي ربما قد تكون مهيمنة عليه، وتجعله أكثر نشاطا علميا، ولو ألقينا نظرة على حالة الباحث العلمي في الوطن العربي، وفي الوطن العربي لوجدنا أن كل نشاط بحثي يرافقه مقابل مادي يعزّز حضور الباحث، ويثبت وجوده البحثي لئلا يتذرع بذرائع الاختباء وراء هذه الظروف المثبطة للعزائم، وقد يجد فيها متكأ للدفاع عن واقعه.

"أثبت العديد من الدراسات أن للاستثمار الخاص في البحث العلمي له عاد مؤكدا وكبير، وإن قد

يتأخر تحقيقه يصل في بعض الأحيان إلى 35% من اجمالي تكلفة الاستثمار، وهذا يفسر الإهتمام المتنامي في أوساط الشركات العالمية الكبيرة بنشاطات البحث والتطوير، كما يعلل في الوقت ذاته إزدهار مؤسسات التمويل-خصوصا في الدو المتقدمة- لأنها تعنى بهذا النوع من الاستثمار فيما يعرف بمؤسسات رأس المال المبادر أو المخاطر"[1].

إن صورة الباحث في الوطن العربي جيدة، وأن جميع حقوقه المادية مكفول بها في ظل منظومة تشريعية سليمة تكفل حقوق الباحث، وتدعم حضوره في المحافل العلمية وأن أي تقصير في هذا المجال مدعاة للتراخي، وعدم الانضباط بأصول البحث العلمي، وهي الصورة التي تتكرر في الجامعات الجزائرية، فليس من الصواب ألا يقيّم جهد البحث بتوفير الحقوق المادية عند الخبرة، ومن الغريب أن تكون خبرة المهندس والقانوني والاقتصادي مذهلة ومرعبة، ولكن فيما يتعلق بالباحث الجامعي فإنّه تتعالى الأصوات مستنكرة هذا الفعل، واضعة إياه بالمخزي والمذل، وفي المقابل تُبارك كل هذه الجهود الخبرية في مجال القضاء والمحاكم والمنازعات حول الأراضي والشركات الاقتصادية وما إلى ذلك.

إن الكيل بمكيالين مختلفين في مجال البحث العلمي من شأنه أن يترك آثارا سلبية عميقة في الباحث وليس من السهل تجاوزها أو إزالتها، وعليه فإنّه آن الأوان لأنّ يستفيق الضمير الجزائري من جهة، والقائمون على البحث العلمي من جهة أخرى لمعالجة هذه الوضع لكي لا يكون سببا في إفشال جميع المخططات البحثية، وإجهاض أي مشروع بحثي علمي.

2-البيئة الحاضنة للبحث العلمي:

إن من أبجديات البحث العلمي ومقوماته الأساسية، هو خلق وسط بيئي نقي SAINT، يكون خاليا من جميع مثبطات البحث العلمي، وبعيدا عن الصراعات الوهمية التي لا أساس لها من الصحة.

إ وجود بيئة حاضنة للبحث العلمي هو عنصر مهم جدا في العملية البحثية، ويجب إبعاد كل العناصر الداعمة للفرقة العلمية والإحباط البحثي، وذلك من خلال أن تكون الإدارة الساهرة على ذلك على قدر كبير من المسؤولية والحكمة في تسيير الأمور، وتسهيل سُبل النشاط العلمي، ولا تكون أداة هادمة للبحث

---

[1] _ محمد صادق، البحث العلمي بين المشرق العربي والعالم الغربي كيف نهضوا ولماذا تراجعنا، ط1، 2014، المجموعة العربية للتدريب، مصر، ص 20.

العلمي من خلال تقصير في أداء مهامها، أو خلق أوهام تضرُ بالبحث العلمي، وهو الحاضر الغائب في الوسط الجامعي في الجزائر.

إن حقيقة البحث في الجزائر عامة وفي أقسام اللغة العربية في حالة سكون، وتتطلب جهودا كبيرة للانطلاق، ويجب ألا يكون عبر رفع شعارات أو قراءة بيانات تنديد واستنكار لترتيب الجامعة الجزائرية، فهذا الشيء يحتمل أمرين، أولا اعتقد أن الجامعة الجزائرية لها من الإضافات والحضور في الأنشطة البحثية في العالم ما يشكل مرتكزا أساسيا بأن هذا الترتيب ليس سليما مائة بالمائة، وثانيا إن هذا الترتيب معبّرٌ حقيقي عن واقع البحث العلمي في الجامعة، ذلك أن جهود الباحثين غير مستغلة بطريقة صحيحة وجيدة في توظيفها على الشبكة العنكبوتية، بل إن كثيرا من جهود الباحثين غير متصلة بالجامعة الأم، من حيث الاستفادة منها على الأقل في الإحصائيات الدولية، فهناك كثير من البحوث والدراسات والمشاركات العلمية في المحافل الدولية لم تستغل في رصيد الجامعة الجزائرية، وبالتالي فهي غير معلومة لدى جهات دولية في الاحتساب هذه الأنشطة من جهة، وأن الجامعة الجزائرية ليست لها علم بذلك، وهو ما يجعلها غير مقيّدة في أنظمة التقويم الدولي في ترتيب الجامعات.

إن الرهان كبير ينتظر الوسط البحثي، ويتطلب قدرا كبيرا من المرونة Flexibilité لتخطي جميع هذه الصعوبات، وبإمكاننا بناء منظومة بحثية جيدة تليق بسمعة الجامعة الجزائرية عامة وجامعة قسنطينة خاصة، التي في فترات معينة من حياتها كانت قبلة الطلاب من دولة عربية وغير عربية للدراسة، وكانت ذات سمعة علمية كبيرة في الأوساط الدولية، وهذا ما يشهد به العدو قبل الصديق، وعلى الرغم من هذا فإنّه بإمكاننا تدارك الأخطاء والعمل سويا على تحقيق المبتغى، والوصول إلى الأهداف التي تسطرها الوزارة في تفعيل الحركة البحثية العلمية في الجزائر.

بناء على هذا التشخيص الدقيق للواقع البحثي في الجامعة يتطلب من الجهات الوصية العمل على توفير مستلزمات البحث العلمي، من وسائل بحثية وأدوات تكون في خدمة العلم والمعرفة، فإنّ الحاجة ماسة إلى تحديد المكتبة لتكون واجهة الجامعة، لتقديم إضافة نوعية من حيث الاستجابة الفورية لمقتضيات الباحث، وهذا لا يتحقق إلا بمراجعة في بعض الخطوات التي لم تكن صائبة، وليست سليمة أو مفيدة للبحث العلمي، لأنّ الغاية من هذه الوسائل المادية كالمكتبات، ووسائل الاتصال الرقمنة في تيسير للحصول على المادة العلمية بسرعة، لأنّ عامل الوقت مهم جدا في هذه المسألة، ولكن هذه الأدوات غير مفعلة أو مغيّبة في أحيان كثيرة.

إن غياب الوسائل المادية أو نقصها أو اضطرابها يشكل إحباطا لمشروع البحث العلمي وانتكاسة لهذه الجهود، ولا يكون سبيلا في خدمة البحث العلمي والتطلع إلى مزيد من التألق ومواكبة ركب الحضارة.

الاستراتيجية البحثية:

قد تكون هذه العناصر المشكلة لروح البحث العلمي، والداعمة لمساره الصحيح أساسيات البحث وأبجدياته، ولكن الأهم من كل هذا هو ضرورة وجود استراتيجية واضحة المعالم، مبنيّة على أسس سليمة، وقواعد علمية وقانونية تتظافر جميع العناصر المكوّنة للبحث العلم من أجل العمل على تطبيق الخطة، وتنفيذ الاستراتيجية بحكمة ودقة بعيدا عن العشوائية، والاضطراب، والخطابات السياساوية غير المجدية.

إن التخطيط المحكم والجيد في وضع استراتيجية بحثة في الجامعة عامة وفي أقسام اللغة العربية خاصة عملية مثمرة، تشكّل دفعا قويّا للبحث العلمي، وتحرص على ديمومة الحركة البحثية، لأنّه ليس من المعقول على الإطلاق أن تكون الأمور متروكة للحظ، بل اقترح أن يكون هناك مجلس خاص بالبحث العلمي يتولاه مدير الجامعة رفقة عمداء الكليات، إلى جانب كوكبة من أشهر الأساتذة يشمل جميع التخصصات، ولكن في المقابل على الكلية تشكيل مجلس للبحث العلمي يكون نواة للبحث العلمي ويهتم بالتفكير في المسائل البحثية، ويضم جميع الأقسام التي تشكّل الكلية، وتكون مهامه الأساسية فقط البحث في إقامة ندوات وملتقيات دورية، ودعوة أساتذة من ذوي كفاءات علمية مشهود لهم في الساحة الأدبية والعلمية بعيدا عن المهرجانات الشعبية، والكرنفالات الإعلامية، وأنا على يقين من أننا إذا اتبعنا هذه الإجراءات العلمية، لكان سببا في انطلاقة فعلية في حقل البحث دون إغفال أن تكون المجلة واجهة الكلية أو الجامعة رمزا من رموزها العلمية الدالة على حضورها في المحفل الوطني والدولي، ذلك أن «البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، حيث إن المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين قد تحققت واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة جيدا لذلك، وليست وليدة مصادفات أو أعمال ارتجالية»[1].

إذّ تشهد الساحة العلمية في الجزائر اضطرابا وفوضى منظمة من حيث غياب لمشروع حقيقي يكفل الباحث ويضمن استمرارية البحث العلمي وسيرورته، وتوهجه، وهو ما يجعل ناقوس الخطر يدق، حيث ليس هناك ما يعكس اهتمام القائمين على البحث العلمي الإدارة الحقيقية في التخطيط الجيد والبرمجة الدقيقة،

[1] ـ مانيو حيدر تر: مليكة أبيض، من جهة البحث العلمي، ص 18.

فتعالت الأصوات منذ فترة حول آليات تسيير المخابر، لأنّ الطريقة المتبعة حاليا لا يمكنها تقديم جديد أو إضافات نوعية على مستوى البحث، لأنّها طريقة كلاسيكية تقليدية، ولهذا هناك أصوات من أعضاء المخابر تطالب بضرورة جعل مكافأة مالية للباحثين تعمل على دفع عجلة البحث، وتحسين الأعضاء بالحرص الشديد على العمل على وتيرة بحثية متواصلة، ولكن لم يتحقق شيء واحد من كل هذا، فظل الأمر قائما على حاله، ولعلّ هذا ما زاد في قناعة الباحثين بالعزوف عن البحث، وعدم الاكتراث به، لأنّه لا يعود عليهم بالفائدة المادية، لأنّ كل الدول تدعم الباحث، وتطلب منه مزيدا من المثابرة في البحث، وهو ما يدفع بالباحث إلى مزيد من التفاني في حقول المعرفة لتقديم إضافات جديدة تكون في خدمة البحث والأمة على حد سواء.

ومن أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف يجب وضع حد لكثير من العوائق التي تقف في وجه البحث العلمي، ولعلّ أهمها مايلي:

1-الفضاء الإداري المسيّر للبحث العلمي ليس على ما يرام من الناحية التحديثية، وهو بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في وظيفته، بل ليس هناك هيئة بحثية في أقسام اللغة العربية في الجامعات الجزائرية تتكفل بوضع استراتيجية للبحث العلمي، وتقدم رؤية واضحة في بناء منظومة بحثية جديدة وفق استراتيجية دقيقة للوصول إلى أهداف محددة.

2-غياب روح التعاون الجماعي في إنجاز مشاريع بحثية جماعية، حيث نلاحظ أن هناك عزوفا عن التعاون الجماعي، إلا في مشاريع البحث PRfU- CNEPRU، وهذا لا يكفي على الاطلاق، بل يكاد ينعدم العمل الجماعي في البحث مثل التأليف الجماعي في الجامعة الجزائرية.

3-غياب النظرة البحثية الصحيحة، سواء عند الباحثين أو المسؤولين وهذا يعطل حركية البحث العلمي.

4-نقص واضح في الوسائل المادية التي تشكّل قاعدة صلبة للبحث العلمي، من ذلك نقص الأماكن البحثية أو مقرات التي تعقد فيها الاجتماعات لتداول هذه المشاريع ومناقشتها، كما تعاني أقسام اللغة العربية في الجامعة الجزائرية من الانترنت بل يكاد يكون منعدما في جميع الأوقات.

6-عزوف الإطار البحثي عن التواصل العلمي في ظل الواقع المادي للباحثين، وهذ ما نجده في تحكيم المقالات، أو المشاركة في مختلف أشكال التقويم العلمي، إذ يلاحظ أن هذه الأمور تتم مجانا دون مقابل،

وهذا واحد من المشكلات التي يعاني منها الباحث في أقسام اللغة العربية.

7-غياب هيئة علمية مستقلة تتكفل بإعادة النظر في البرامج والمقررات، والسهر على تكييف المناهج النقدية الغربية في تدريس اللغة العربية بما يلائم طبيعة اللغة العربية.

8-نقص في الإطار العلمي الباحث، فلا تكفي المؤهلات العلمية بقدر ما يجب تأهيل هذه الكفاءات من الحين لآخر، بالتفرغ العلمي، من خلال إرسال دفعات من الباحثين إلى دول أجنبية أولا لتعلم اللغة الأجنبية وثانيا للإطلاع على مجريات سيرورة البحث العلمي في تلك البلدان، وهذا لا يتحقق إلا بأنّ يكون التربص ليس أقل من سنة، مع وضع ضوابط قانونية وعلمية في ذلك بجعل هذه العملية مُفيدة للبلاد، وتسهم في نقل أقسام اللغة العربية في الجزائر إلى مصاف العالمية، وهذا ليس بالصعب، إذّ تتوفر أقسام اللغة العربية على مؤهلات علمية ممتازة وجديرة بالاحترام على مستوى الهيئات العلمية الدولية.

ولقد أوضح عبد الفتاح خضر إلى أسباب هبوط الإنتاج الفكري في العالم العربي، وأرجعها إلى أسباب عامة وخاصة وتتمثل العوامل الخاصة في الجوانب السياسة والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.. وأما الأسباب الخاصة فتتلخص فيما يلي: ضعف التكوين الثقافي والعلمي...." [1].

إن هذه العوائق تمثل خطرا كبيرا على واقع البحث العلمي في أقسام اللغة العربية في الجامعة الجزائرية، وقد تشترك فيها جميع أقسام المعاهد الأخرى في المعاناة، وعليه كان لزاما أن نتجاوز هذه المشكلات فبعضها حلولها سهلة جدا فقد لا تتطلب إجراء إداريا وعلميا سريعا، وبعضها الآخر يمكن معالجته مع مرور الوقت مثل روح التعاون الجماعي. انطلاقا من هذا اقترح بعض الخطوات التي يجب اتباعها لتحقيق غاية البحث العلمي وتتلخص فيمايلي:

1-تحديد ماهية البحث العلمي ومقاصده ومدارج السالكين ومعرفة مقامات العارفين.

2-تفعيل البحث العلمي وجعله من أولويات الجامعة وليس رقما لا قيمة له سوى في البيانات السياسية، والإحصائيات الإعلامية.

3-تطوير الآليات في الكلية خاصة وفي الجامعة عامة من خلال:

[1] _عبد الفتاح خضر، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مكتب صلاح الحجيلان للمحاماة والإستشارات القانونية، ط3، 1992، السعودية، الرياض، ص 46.

1/المجلات المحكمة والمستمرة في طبعاتها.

2/المؤتمرات الوطنية والدولية والندوات الأسبوعية مع وضع استراتيجية محكمة ودقيقة في هذا المجال.

3/توظيف المخابر الموجودة بالكلية للقيام بالأداء العلمي الصحيح، وأن تكون واجهة للبحث العلمي، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت الجهات الوصيّة تقوم تخصيص مكافآت مالية شهرية للباحث المنتسب من الناحية العضوية للمخبر، ولكن في المقابل تقوم الجهة الوصية بمرافقة الباحث ومحاسبته في إسهاماته البحثية، ليكون عنصرا فعالا في حقل الدراسات العلمية والبحثية، ومن ثم سيكون هذا الإجراء التحفيزي سبيلا إلى خدمة مسارات البحث العلمي وتطوير آلياته.

كما لا يفوتني في هذا المقام إلا أنّ أشير إلى ضرورة جعل مكافآة مادية في تحكيم البحوث العلمية، سواء في المجالات، أو الأطاريح العلمية، مع العلم أن جامعة قسنطينة1 واحدة من بين الجامعات التي تقدم دعما ماديا للباحثين في مناقشة الأطاريح العلمية، ولهذا تشهد الساحة الجامعية عزوفا عن التنقل في مناقشة الأطاريح لغياب المكافأة المالية، مع العلم أن بعض المناقشات تتطلب سفرا مضنيا، وخسائر مادية ولكن دون مقابل.

إنّ هذا الإصرار في الهروب إلى الأمام من قبل الجهات الوصية، يضع البحث في مهب الريح، وليس من الحكمة أن تظل الآذان صماء لا تستمع إلى الآخر، والعيون مقفلة لا تبصير الحقيقة، في وقت أن جميع الناس يُبصرون الحقيقة بالطريقة الصحيحة.

إن بناء مشروع بحثي علمي قوامه الوضوح والتخطيط الفعال، مع تحديد الأهداف من شأنه العمل على إنجاح العملية البحثية، وأن تخطو الجامعة الجزائرية عامة وجامعة الإخوة منتوري قسنطينة خاصة خطوات مهمة في البحث العلمي، وهذا هو المبتغى والهدف المنشود من وراء كل عمل بحثي أصل يكون نابعا من الذات، ومصيرة على أن يكون البحث الجزائري رقما مهما في العملية.

إن المسؤولية الملقاة على عاتق الباحث وكبيرة والرهان صعب، ولكن لا سبيل إلى إدراك المعرفة أو التحكم في مصادرها، ما لم يكن مقرونا بتوفير جميع الأدوات والوسائل والفعالية في بناء منظومة بحثية علمية صحيحة، تكون قادرة على تخطي الصعاب، والخروج من الحالة الراهنة، وجعل الجامعة الجزائرية في مصاف الجامعات العربية المتميزة، وهذا ليس بغريب ولا بعزيز على الباحث الجزائري، ولا على القائمين على البحث

العلمي، لأننا لا نشك على الإطلاق في السنوات والإرادات والأهداف، ولكن طموحا أكبر، وآمالنا أسمى في تحقيق هذا المشروع.